دير صليب في ماضيه وحاضره

كامل شحادة

مراقب آثار محافظتي حمص وحماة

١ ــ توطئة ٢ ــ لمحة عامة ٣ ــ وصف الآثار :

آ ــ الواجهة الرئيسية للكنيسة .

ب ــ النارتكس والغرفتين بجانبيه .

ج ــ الواجهة الثانية داخل النارتكس .

د ــ الصحن المركزي .

هـ ــ الحنية وغرفتا الدياكونيكون والبروتيزيس .

و ــ واجهتا الكنيسة الجنوبية والشمالية .

ز ــ خزانات الماء .

ح ــ المعاصر .

ط ــ قسم الدفن .

ي ــ المساكن والفسيفساء .

٤ ــ الكنيسة الشرقية .

١ ــ ان من يود البحث عن دير صليب فيتحرّى كتب التاريخ ، ولا سيما (معجم البلدان لياقوت الحموي) و (تقويم البلدان ـ لأبي الفداء) برغبة وشوق حباً منه بالإطّلاع على ما لا يعلم من أخبار وآثار قومه وأمته أملاً في أن يظفر بين ثناياها بما ينير أمامه السبيل إلى طلبته فينقع بها غلته ، ولكنّه بعد جهد كبير لا يعود بشيء .

وحينئذ يعود باللائمة على ياقوت حيث لم يذكر في عداد الأديرة التي أتى على ذكرها هذا الدير الشهير ، وقد سمّى غيره (دير صليبا بدمشق)[١] .

وكذلك أبو الفداء إذ لم يتعرض في كتابه لأي ذكر عنه ومـا مرّ به من أحداث أو انتابه من عوادي الدهر التي انتـابتْ حماة وشيزر وخربتهما بزلازلها غير مرّة مع أنه قريب منه . وبهذا يصبح القول مقتصراً على واقع الدير من جهة وبعض ما ذكر عنه الأب ماتيرن في كتابه (المدن الميتة في سوريا العليا) .

التسمية : لا يخفى أن كلمة الدير تعني البيت الذي يتعبد فيه الرهبان ولا يكون في المصر المأهول والمدن الكبرى ، إنما يكون في الصحارى ورؤس الجبال ، وهو مقام الرهبان والراهبات .

أما نسبة صليب فإننا لا نستطيع تحديدها بالضبط وقد أعطيت لأمكنة عديدة منهـا : (دير الصليب في رابية قرب جل الدّيب في لبنان ، وصليب قرية أيضاً في مرجعيون) و (صليب قبيلة في بادية حماة ، وكذلك صليبة قرية في منطقة سلمية وصليبة حي مسيحي في حلب . و (صليبة تنوخ[٢] هي معرة النعمان) .

والصليب : بلفظ تصغير الصلب ، وهو المكان الغليظ المنقاد من الأرض[٣] .

ونحن أمام احتمالين على ما نعتقد بصدد الصليب ، الأول : هو إبراز الصليب نحتاً ونقشاً وزخرفة في كل ناحية من نواحي البناء ، ليس فقط على صورة واحدة وإنما بأصناف منوعة مختلفة ، تظهر بكل وضوح وجلاء . فمنـها ما يمثل الصليب المعروف باليوناني ذا الأطراف المتساوية الأربعة (+) ـ ولعل هذا الشكل من الصلبان هو من أقدم صورة لعلامة الخلاص[٤] .

(١) دير صليبا : بنواحي دمشق مقابل باب الفراديس ويعرف بدير خالد ، لأن خالد رضي الله عنه نزل به حينما حاصر دمشق ومن قصيدة قالها فيه أبو الفتح :

جنة لقبت بدير صليبا مبدعاً حسنه كمالاً وطيبا

وآخرها :

لست أسى ما سر فيه ولا أجمل مدحي إلا لدير صليبا

(معجم ياقوت ج ١ ص ٥١٩) .

(٢) سبائك الذهب للسعودي كما ذكر الحمداني يعني أن بها جمهور المتكثر .

(٣) معجم البلدان لياقوت ص ٦٢٠ .

(٤) مجلة المشرق سنة ٩٠٨ و ١٩٠٩ وما بعد .

إذ يرتقي عهده إلى القرن الثـاني . وآخر يمثل الشكل المعروف باللاتيني ذا العارضة السفلى الطويلة (┼) وعهد هذا النوع أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع . وصنف منها يمثل المزدوج العريض الأطراف ، ورابع منها ما يمثل المزدوج العريض الأطراف مع التربيع ضمن دوائر متنوعة وقد يكون ذلك النوع يونانياً أو لاتينياً .

وثاني الاحتمالين : هو صلابة الأرض التي أقيم عليها البناء .

لمحة عامة : آ ــ الموقع والقرية وطبيعة المنطقة : لن يكن لدير صليب نصيب في قائمة الأماكن الأثرية في سورية الشمالية (الأولى) التي كانت فيما مضى تابعة لمملكة أنطاكية (١) .

كما لم يرد له ذكر في عداد المواقـع الأثرية في سورية الجنوبية (الثالثة) ، وقد كان لـكلتا المنطقتين أكبر اهتمام في التعرف والدراسة . وبما أن هذا الدير واقع فى سورية الوسطى (سورية الثانية) التي تشمل المنطقة الشرقية وتتبع لمملكة أفامية . وان الدراسات التي شملت هذه المنطقة كانت جزئية غير شاملة كمجموعة . كان لا بد والحالة هذه من تعريفها :

أنشىء دير صليب فوق هضبة صخرية تمتد باستطالة للشرق حيث كانت تقوم المدينة الميتة الأثرية وقد عفى عليها الزمن فأصبحت خراباً يباباً لا ترى فيها إلا الجدر والسواكف والأبواب .

وتمتد اليها في الجنوب أربعة أخاديد تتعـارض بواد يذهب للشرق قليلاً ليتحد معه واد آخر انحدر من القرية الحديثة المبنية فوق هضبة مقابلة في الجنوب الشرقي . بيوتها من الحجر غير المنتظم استعملت بينها بعض الحجارة الأثرية المأخوذة من الأبنية القديمة التي لم يبق منها سوى بناء واحد وسط القرية يعرف بالقصر أو (قصر برجيس الصليبي) . وهو عبارة عن برج مؤلف من طابقين لم يبق منه إلا طابقه الأول وجدار الثاني المرتفـع وهو يحتوي على أربع شرفات دفاعية . وقد جعلت سقوف القرية من الخشب وقليل منها معقود أو بالاسمنت . وفي القرية مدرسة ابتدائية للذكور وسكانها الف نسمة يشربون من مياه الأمطـار المختزنة في صهاريج قديمة . وقد أنجزت ــ الحكومة بئراً ارتوازية لهم مع بناء خزان كبير للارواء . وتبعد القرية عن الدير مسافة / ٢ / كم . بينما يبعد الدير عن طريق (حماة ــ مصياف) من

(١) كانت سورية في العهد الروماني مقسمة إلى ثلاث مناطق الأولى والثانية والثالثة .

النقطة التي قبل مصياف بـ /٨/ كيلوم مسافة /٦/ كيلوم لجهة الجنوب . وتحاط القرية بأنواع الكروم غالبها كروم التين التي تعد بها الأولى في المنطقة وهي الدعامة الرئيسية في معيشة السكان .

ب — الوحدة الفنية في البناء : ان وحدة مظهر فن البـنـاء ترتكز على وحدة الأدوات المستعملة . فالجدران مبنية من الحجر المنحوت بأدوات ذات حجم كبير معتنى بها كل العناية ، وكانت الحجارة ترتكز على الصخر الذي غالباً ما كان ينحت لـكي يقوم مقام المدماك الأول دون الحاجة الى حفر أساسات مثلاً (كما في قسم التعميد فان جرن التعميد الذي يبلغ ارتفاعه ٦٥ سم كان من الصخر) .

ولا يوجد ثمة أثر للعقود اذ ان أسلوب البناء كان قد استعيض عنه بمستطيلات ترتكز على أقواس ، وكان للسقوف افريز مضاعف من العوارض الحجرية والخشبية التي تغطى بالقرميد .

ان هذه الأشكال المأخوذة عن المحيط قد اصطبغت بالفن والتقليد المحليين ، فالتجانس والأصالة والتشابه كل ذلك أصبح طبيعة أساسية في فن الهندسة في المنطقة .

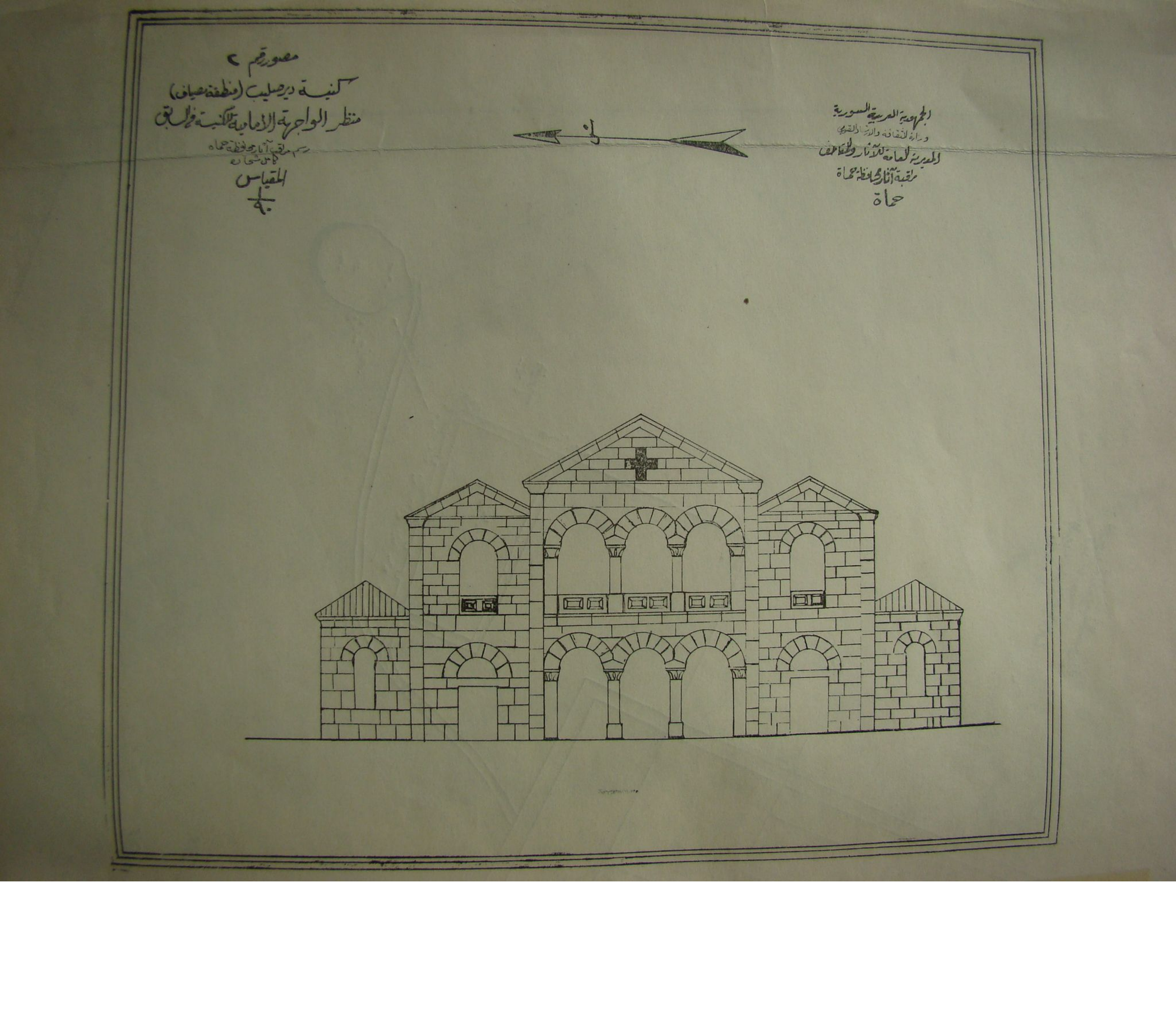
أما الزخرفة فهي منحصرة في الأبواب والسواكف والحنية والتيجان .

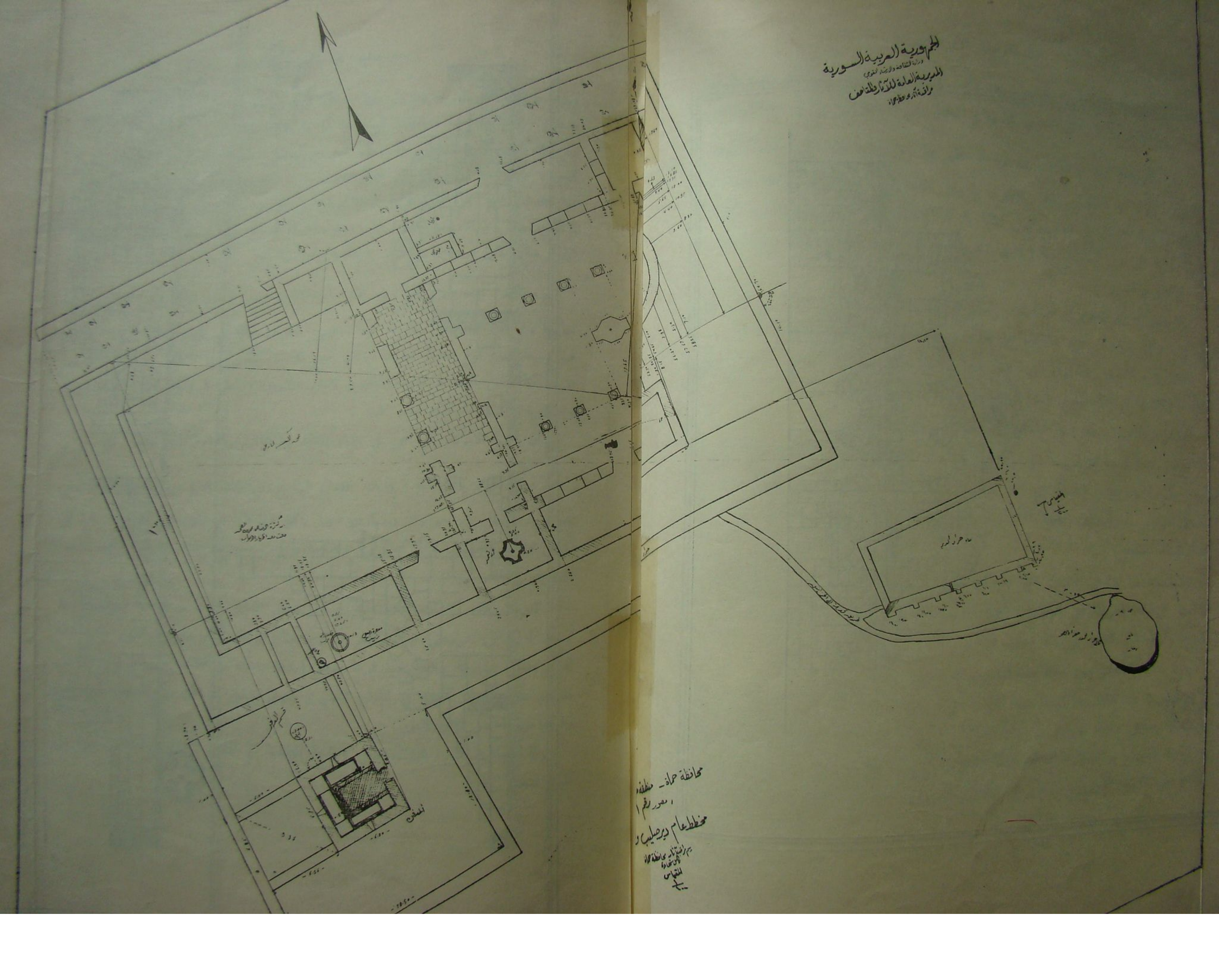
ويبدو ان الكنيسة قد تحررت الى حد بعيد ، اذ ان الصحن المركزي أصبح أكثر عرضاً وعلواً وتنويرا ، وبفضل الفسحة التي زاد اتساعها بين الأعمدة فقد ربطت الصحون الجانبية بالصحن الرئيسي ، وأصبحت الحنية أكثر سعة وعمقا ، وقد نشأ عن ذلك ارتباط أفضل بين أقسام البناء المختلفة .

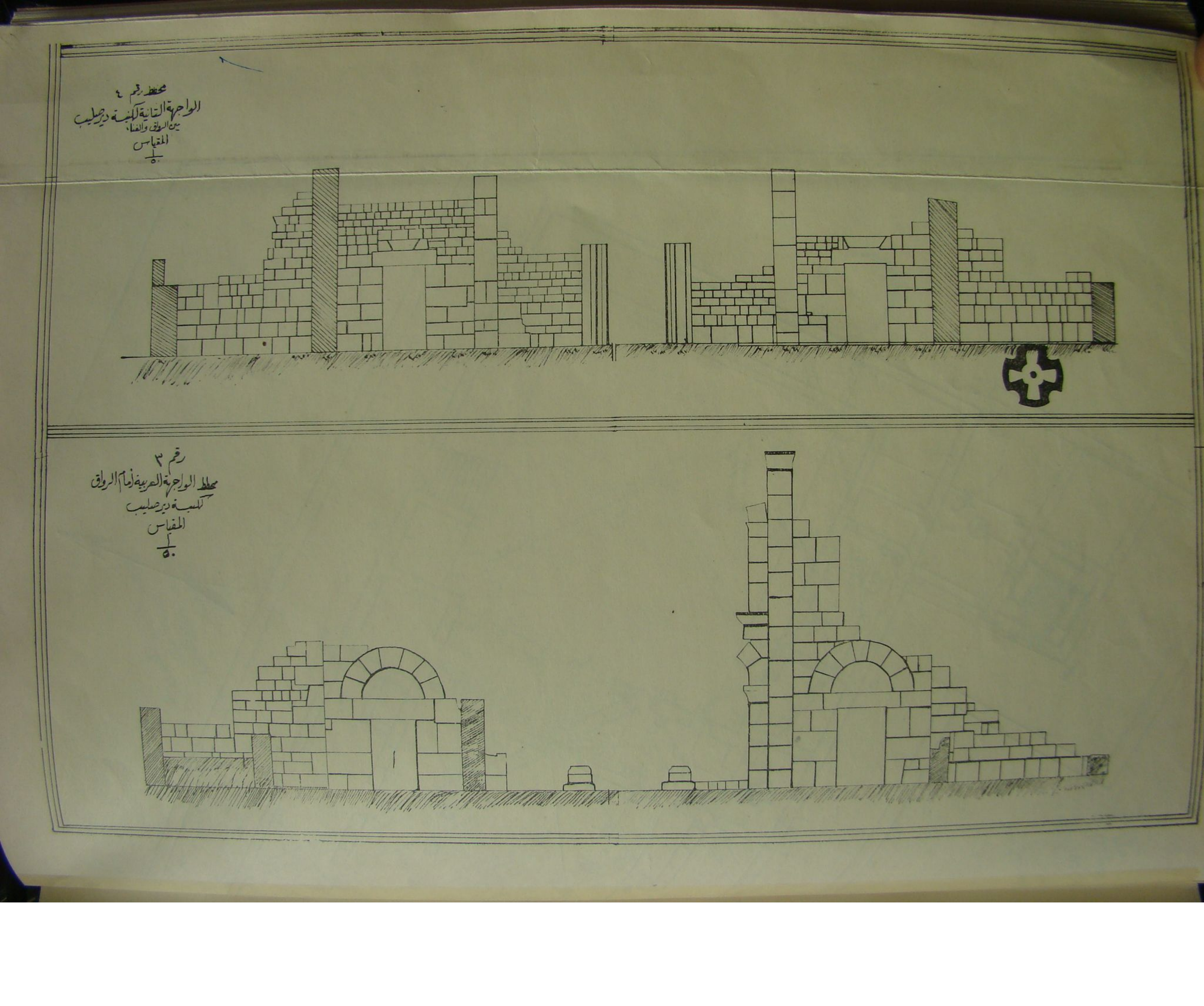
والكنيسة هنا كالمنزل اشتملت على ملحقات كانت قائمة حول الباحة الخارجية وبالأطراف فكانت على ذات الطريقة التي تقوم فيها أبنية الخدم في باحة الفيلات ، ومع وجود مكان بارز للتعميد وقسم كبير للدفن برز فيه مدفن كبير .

وان عدد الملحقات يدل دلالة واضحة على وجود استثمار زراعي .

والكنيسة هنا بخلاف ما كانت عليه كنيسة القرية والمنزل ، التي يؤلف كل منها مجموعة مغلقة ، لها مدخل واحد موجود في جدار الباحة . كما وعلى خلاف الكثير من الأديرة الموجودة في سورية الجنوبية والشمالية ، المغلقة اغلاقاً محكما ، لا وصول إلى الكنيسة إلا باختراق الباحة الممتدة حتى الأبنية الأخرى ، وهذه على عكس ذلك فهي مكشوفة من كل جهة رغم انها


الجمهورية العربية السورية
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المديرية العامة للآثار والمتاحف
مراقبة آثار محافظة حماة
حماة
مصور رقم ٢
كنيسة دير صليب (منطقة مصياف)
منظر الواجهة الامامية للكنيسة في السابق
رسم مراقب آثار محافظة حماه
كامل شحاده
المقياس
١/٥٠


الجمهورية العربية السورية
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المديرية العامة للآثار والمتاحف
مراقبة آثار محافظة حماة
محافظة حماة - منطقة
محور رقم ١
مخطط عام دير صليب
المقياس


مخطط رقم ٤
الواجهة الثانية لكنيسة دير صليب
بين الرواق والفناء
المقياس
١/٥٠
رقم ٣
مخطط الواجهة الغربية أمام الرواق
لكنيسة دير صليب
المقياس
١/٥٠

بمعزل عن الجماعات للشرق والشمال منها . فانها بقيت قريبة من الطرق تفتح مباشرة لعابري السبيل ، وانها بتركيبها وموضعها ليست لها أية طبيعة حاجزة .

وانه ليصعب علينا تصور الحياة في الدير في استعمال هذه الأبنية ، وقد كنا لا نستطيع التعرف على طبيعة الدير في مثل هذه المجموعة ، إذ اننا نجهل أين كان يقيم الرهبان ، لأننا إذا افترضنا انهم كانوا يقيمون في الملحقات الجانبية الجنوبية والشمالية ، فمن المحتمل ان حياتهم لم تكن حياة اعتكاف ووحدة ، بل حياة مشتركة في كل لحظة ، غير انه ينبغي الاستنتاج ان الرهبان كانوا موزعين في غرف ضيقة لم يبق منها أثر .

م — الاستثمار الزراعي : في الدير نفسه تشاهد معصرة ضمن البناء ورحى طاحون أيضاً بجانبها وفيما بين الكنيسة والمدينة الميتة معصرة أخرى قائمة في الهواء الطلق . أما تركيبها فهو بسيط سأذكره مفصلاً فيما بعد ، وهي تتبع للأنماط المنتشرة في المنطقة ، وطرازها موحد تقريباً يتألف من قطعة مستديرة وحجرين ثقيلين مثقوبين ، وعلى كل فانها معاصر زراعية انتاجية واستثمارية بآن واحد تتبع للدير نفسه .

وان أهمية الاستثمار الزراعي في حياة المعابد والكنائس والأديرة كانت حقيقة وقائمة .

د — الارواء بالخزانات : بالنظر لفقدان الينابيع التي كانت نادرة جداً اضطر سكان الدير لجمع مياه الأمطار في حواصل وصهاريج ، ولم تكن الخزانات أو الحواصل مسقوفة أو انها على أساس مقالع حجرية ، وانما اعتني بها وبصنعها واعدت خصيصاً فكانت كافية لتأمين الحاجة المطلوبة من الماء .

وتنوعت هذه المنشآت الاستثنائية ، فكان النمط الأكثر شيوعاً هو ذو سعة بسيطة وبناء بسيط له شكل مخروطي مجزأ وبقطر يتراوح بين (٥ و ٦) أمتار وارتفاع مماثل ، وفوهة هذا النوع مغطاة مسقوفة ببلاطة فيها فوهة صغيرة لسدها بغطاء من الخشب ، ومثل هذه الحواصل تشاهد غالباً باعداد كبيرة في الجناح الشمالي والجنوبي داخل المساكن وفي الشرق خارج الدير وقريباً من المعاصر وبين القبور .

وثمة خزانات كبيرة انشئت لتفي بالحاجة المطلوبة من الماء . وكانت في الجانب الشرقي من البناء تتصل بها .

٥ – التزيين بالفسيفساء والدهان : ان ما أعلمه الآن عن تزيين أرضيات أقسام الدير والجدران هو قليل لدرجة ان ليس في الإمكان اعطاء تعريف مجمل عنها ، غير ان ما بقي من أجزاء متفرقة بمحيط الصحن المركزي وفي غرفتي الدياكونيكون والبروتيزيس بالاضافة إلى ما اطلعت عليه يدلُّ بوضوحٍ على مدى أهمية تلك الفسيفساء وغناها بالتصوير والتمثيل .

ثم ان داخل الكنيسة كان مكسواً بطلاء لوجود أجزاء يسيرة نراها في قسم من داخل جدار الصحن المركزي والجدار الجنوبي من الغرب وهي تحمل نقشاً دهانياً تبقى منه أثر واه يؤلف أشكالاً هندسية وزخرفية [١] اقتصرت على الجدران دون مساس التيجان والأعمدة .

٣ – وصف الآثار :

آ – الحاجز والباحة : أولُ ما يصادف الزائر حاجز يحيط ببناء الدير والمدفن معاً .[٢] بارتفاع قدره ٨٠ سم . وقد ترك مساحة من الأرض بينه وبين البناء بعرض خمسة أمتار تقوم في الشمال والشرق منها أشجار التين الكثيرة كما يرى في الصورة رقم (١) . وإذا ما تخطى هذا القسم في الجانب الشمالي من الغرب فانه سيدخل إلى باحة الدير من باب بقيت منه عضادتاه وساكفه وهو يرتفع عن الباحة بستة درجات متروكة من الصخر وترى في المخطط العام رقم (١) .

هذه الباحة أشبه بمربع ضلعه يقارب ٢٢ متراً مستوية حفراً بالصخر المتروك بدلاً عن البلاط ، وقد صفت جميع الأحجار المتساقطة أصلاً من البناء بمحيطها بصور منتظمة .

ان تجلية البناء وكشف أقسامها قد جرت بعام الف وتسعمائة وخمس وثلاثين من قبل الكابتن (ويللود) ضابط الاستخبارات الفرنسي الذي كان مقره في مصياف ، اذ فرض أوامره على سكان قرية دير صليب يومئذ بلزوم العمل تحت اشراف بعثة فرنسية خاصة ، لا خدمة للآثار على ما يبدو ، وانما للحصول على أجزاء كبيرة من الفسيفساء الثمينة التي سآتي على ذكرها بعد . أما الأقسام التي تلفت النظر في بناء هذا الدير فهي تتألف من .

(١) يذكرنا هذا النوع من الطلاء والنقش بالطلاء المتبقى في كنيسة قلب لوزة بنفس جدران الصحن المركزي لجهة الهيكل وفي الكنيسة الجنوبية في خراب شمس على أقواس الصحن . وفي قلعة سمعان في القسم الجنوبي من الكنيسة . وان هذا النوع الزخرفي ليختلف عن زخرفة كنيسة قصر بن وردان التي كانت جدرانها مغطاة بالفسيفساء .

(٢) يذكرنا هذا الحاجز بحاجز الكنيسة الشمالية في الروبحة – ادلب – كنيسة بيزوس ، وكذلك بكنيسة الحصن في البارة .

ب — **الواجهة الرئيسية للكنيسة** : كانت هذه الواجهة أكثر من غيرها تعرضاً للخراب فلم يبق منها إلا قسمان كبيران في الجنوب والشمال بكل منهما يقوم مدخل كبير يؤدي أولاً الى النارتكس وذلك مع المداخل الثلاثة الوسطية التي افتقدت إلا من قواعدها ، ولا تختلف نسبة أحجار بناء هذين القسمين كثيراً عن بعضها وفي القسم الجنوبي تظهر جلياً الدعامة الرئيسية الكبرى بتاجها الكبير الذي هو في الطابق الثاني ومنه يبدأ تخفيف سقف الطابق الثاني ، وهذه الدعامة مع الأقسام الأخرى وفتحات المداخل تعطي الفكرة الحقيقية عن كيفية هذه الواجهة الرشيقة . وان مصورنا الثاني المرفق رقم (٢) يشير اليها ، كما وإن أجزاءها الباقية ترى في الصورتين الفوتوغرافيتين المرقمتين رقم (٢) و (٣) .

(وإن مخططنا العام المرفق أيضاً ذا الرقم (١) يحدد جميع أقسام البناء ، ومن الضروري الاطلاع عليه للتعرف على مواقعها والملحقات الأخرى بمكانها) .

ج — **النارتكس مع الغرفتين الجانبيتين** : أول مايلج الزائر بعد الباحة الخارجية الى قسم النارتكس بين الواجهة السالفة الذكر والتي تليها وهو أمام غرفتي المعمودية والتي تقابلها من الشمال . عرضه لايقل عن (٤٦٠) سم . كانت أرضه مرصوفة بالبلاط الحجري المنتظم ، وقد انتزع القسم الجنوبي منه أمام غرفة المعمودية ، وفي جانبيه تبرز الدعائم لربطه مع القسم الداخلي ، كما يوجد في مرتفع منه بروز استخدمت كقواعد لحمل سقفه بالأخشاب ، في الجنوب منه تقوم :

غرفة المعمودية : هذه بشكلها المربع يتوسطها جرن المعمودية المتروك من الصخر كما أسلفت بشكله المصلب . الذي هو من النوع المزدوج العريض الأطراف ، وانه ليذكرنا بجرن المعمودية في الجانب الشمالي من قرية عين لاروز (١) . من بقايا كنيستها القديمة . وشبيه به أيضاً جرن المعمودية في كنيسة قلعة سمعان .

(١) عين لاروز : حصن هام كان لبني منقذ في شيزر يقع غربي البارة بجبل الزاوية بـ ١٤ كم يشرف على سهلي الروج والغاب فوق قسطون تماماً . نزل به بدوان الفرنجي . واخرج بني منقذ منه لفترة . وانه لموقع اثري . واسمه في الأصل (عين زور) كما في زبدة الحلب (ج ٢ ص ١٩٣) . وسماه الصليبيون عين لاروز ، واعتقد بان التسمية نسبة للعين الأثرية التي تقع في شمالي القرية تماماً بأعلى نقطة مرتفعة هناك وهي المورد الوحيد لسكان القرية .

يبلغ ارتفاع الجرن ٦٥ سم . وقطره ٢٠٨ سم وحفرته الوسطية تشكل صليباً متساوي الأضلاع ، وحالته جيدة نسبياً ، ويبدو ان هذه الغرفة كانت كغيرها موصوفة بالفسيفساء المصورة لبقاء أجزاء منها بمحيطها . ويذكر لنا سكان القرية هناك ان بعثة فرنسية بحماية الفرنسيين مستلمي الأمن في المنطقة قد حضرت وانتزعت أقساماً منها في جملة ما انتزعته من غيرها . وفي مخططاتي المرفقة رقم ١ و ٤ و ٧ يتضح هذا الجرن ، كما يرى في الصورة الفوتوغرافية رقم ٤ و ٥ أيضاً .

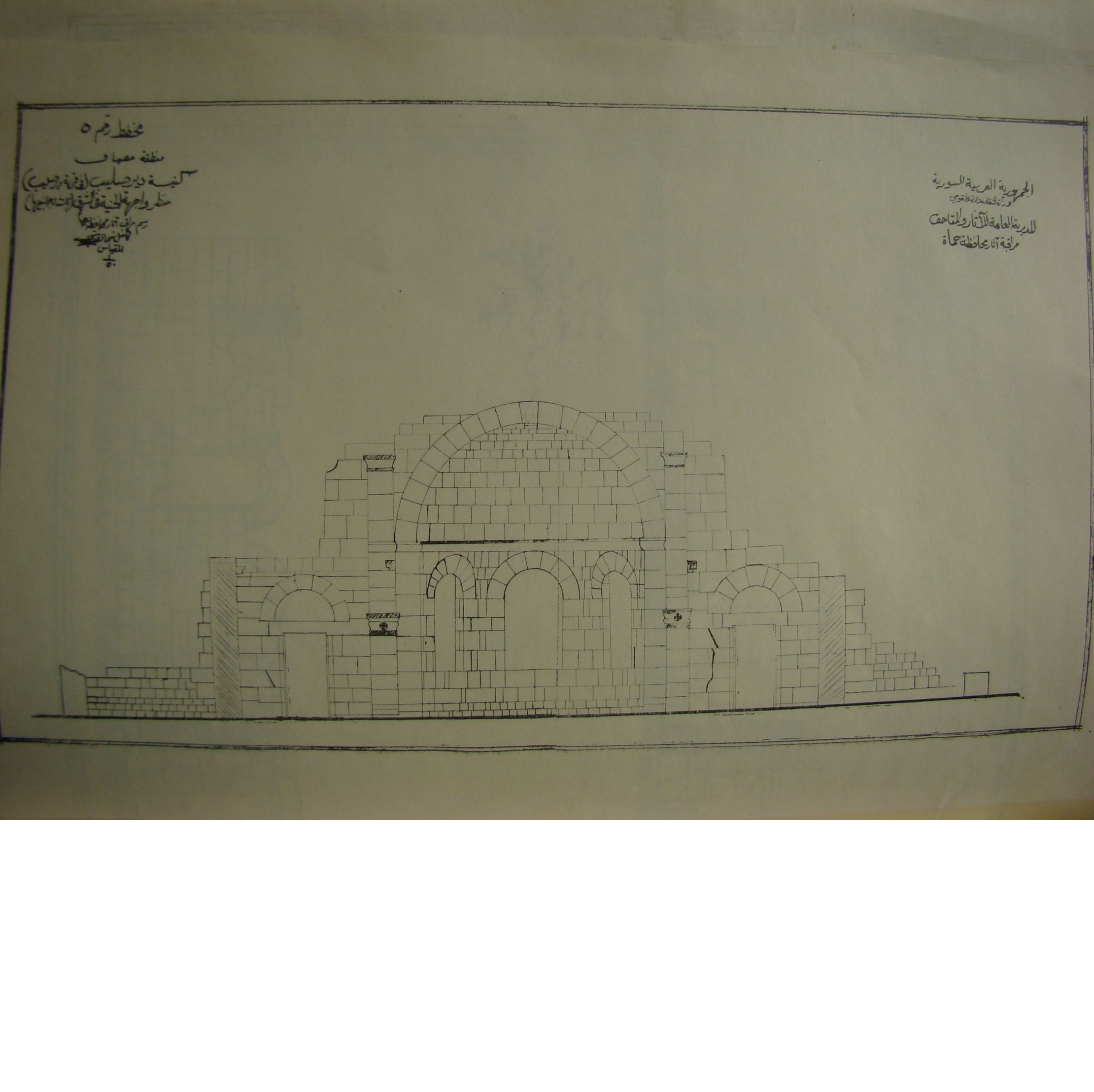
وأما الغرفة الشمالية المقابلة فانها لا تختلف عن الأولى شكلاً ولا هيئة الا ما يبدو من أرضية فتحة ، في جدارها الشرقي وما فوقها أيضاً من بروز قليل ، وكأنها تشير لموضع سلم خشبي كان يُصعَد بواسطته للطابق الثاني ، واننا نستند في ذلك أيضاً على أجزاء البناء المتساقطة أصلاً منه وهي تحتفظ بافاريز من هذا النوع ، هذا بالإضافة لبروز أخرى بادية في مرتفع من جداري النار تكس والدعائم الكبرى .

وعلى هذا يدعي الأب ماتيرن بان هذه الحالة لا توجد كثيراً في الكنائس السورية ، مما يدل على أن المنطقة هنا كانت تسير على هذا النحو الذي اتبع في الطقوس البيزنطية بعد في القرنين الخامس والسادس ، بينما لا يوجد في منطقة انطاكية محل خاص بالنساء في طابق علوي من الكنيسة .

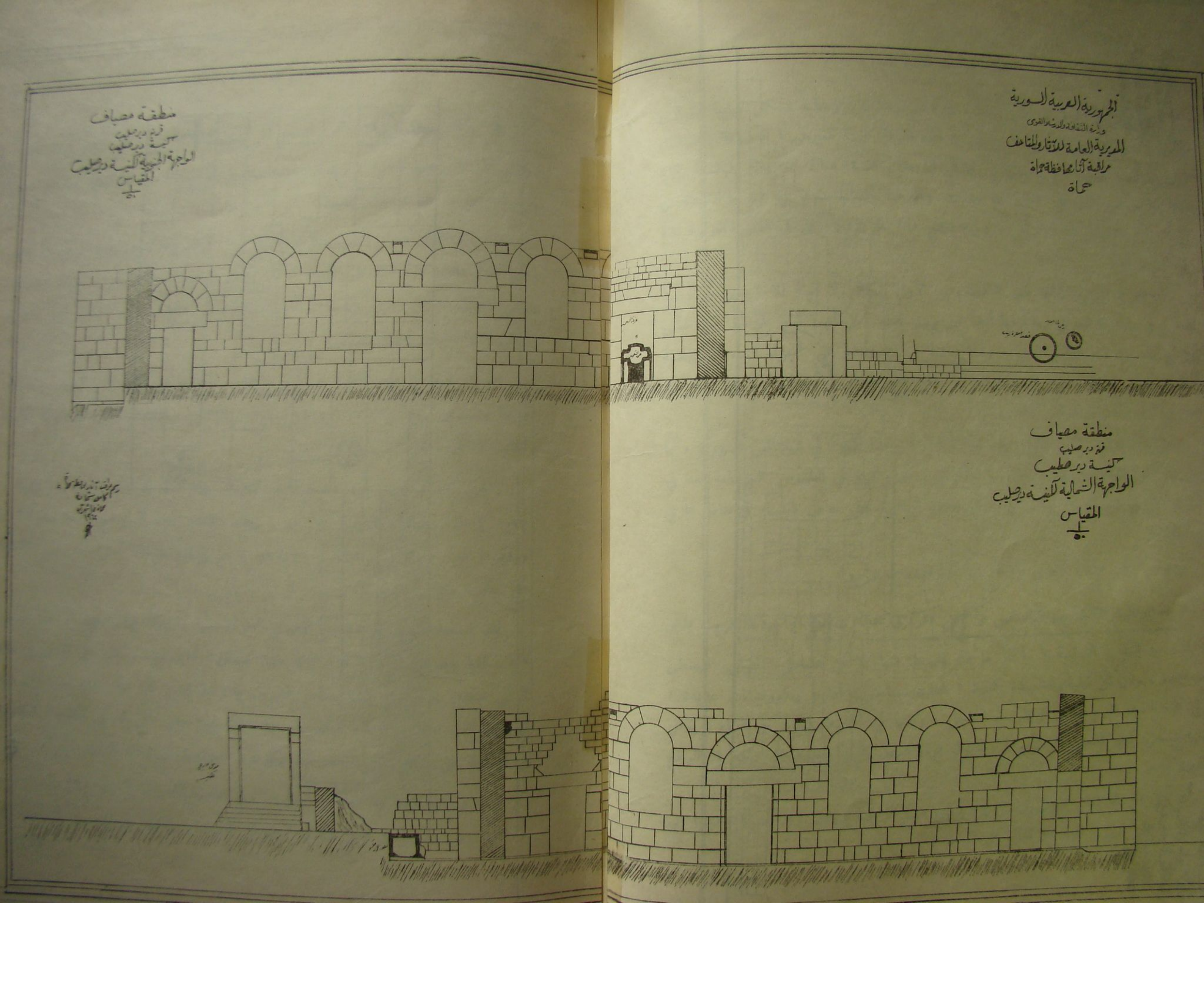
وسوف أذكر ميزات أخرى اختص بها هذا البناء دون سواه .

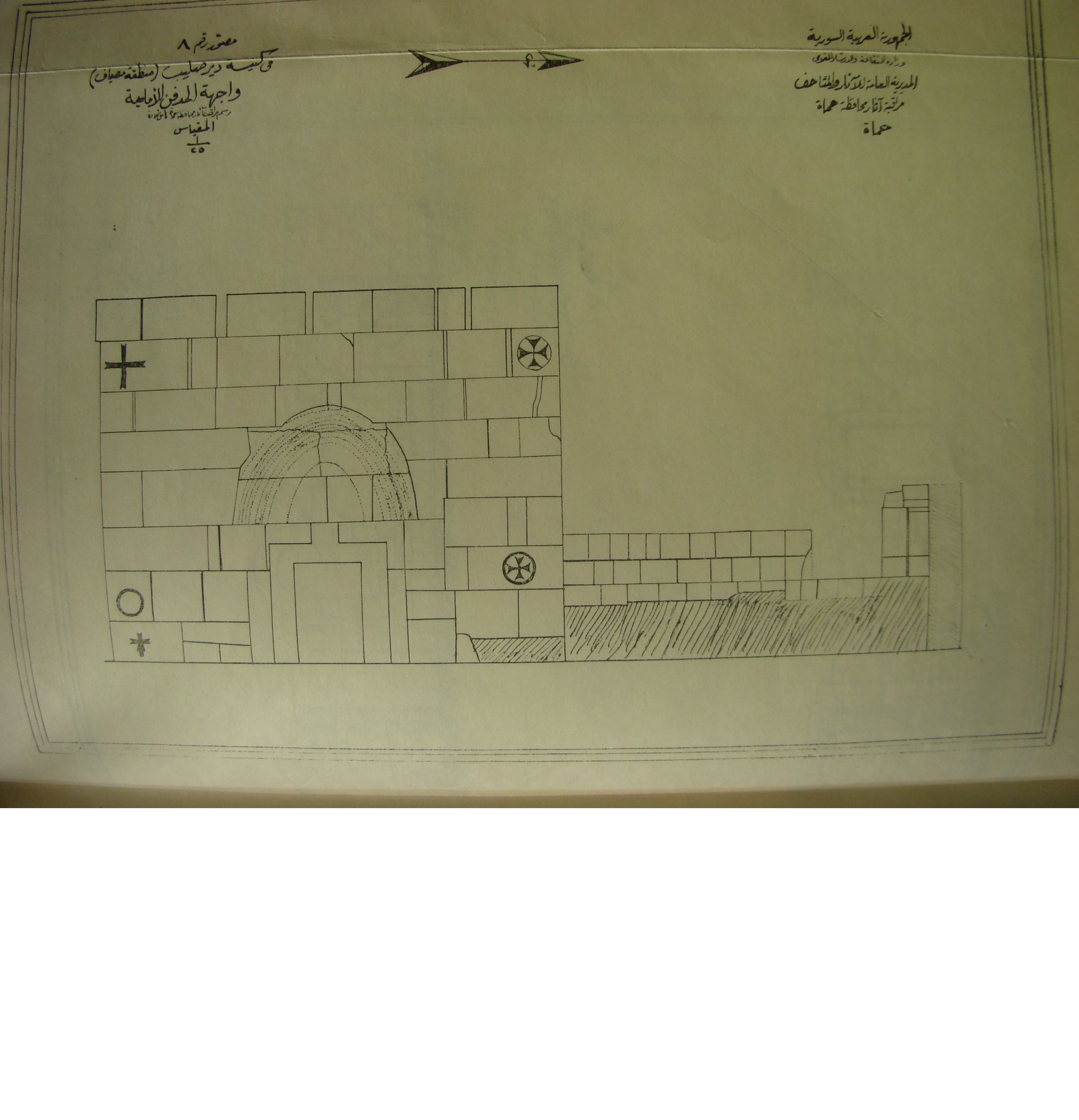
د ــ الواجهة الثانية بين النارتكس والصحن المركزي : تأثرت هذه الواجهة بالتخريب بقدر ما تأثرت به الواجهة الأمامية ، وأكثر ما كان بالوسط منها إلا من عضادتي المدخل الوسطي فقد صمدتا ، وانهما لمن قطعة واحـــدة كبيرة ، شغلت مساحتيهما أفاريز وكورنيشات عديدة ، وفي كلا الجانبين تقوم دعائم الربط مع الداخل ، ويليها في الجانبين قسمان من البناء ، بكل منهما مدخل كبير للصحن المركزي ، ويلاحظ فوق البابين وجود أحجار لم تكن في الواقع كبيرة الحجم .

(وفي المخطط الثاني المرفق رقم / ٤ / تتضح هذه الواجهة بكاملها وقد أشرنا بذيلها إلى كيفية مسقط جرن ــ المعمودية القائم على اليمين) .



مخطط رقم ٥
منطقة مصياف
كنيسة دير صليب (في قرية دير صليب)
رسم مراقب آثار محافظة حماة
المقياس
1/50
الجمهورية العربية السورية
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المديرية العامة للآثار والمتاحف
مراقبة آثار محافظة حماة


الجمهورية العربية السورية
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المديرية العامة للآثار والمتاحف
مراقبة آثار محافظة حماة
حماة
منطقة مصياف
قرية دير صليب
كنيسة دير صليب
الواجهة الجنوبية لكنيسة دير صليب
المقياس
منطقة مصياف
قرية دير صليب
كنيسة دير صليب
الواجهة الشمالية لكنيسة دير صليب
المقياس


الجمهورية العربية السورية
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المديرية العامة للآثار والمتاحف
مراقبة آثار محافظة حماة
حماة
مصور رقم ٨
في كنيسة دير صليب (منطقة مصياف)
واجهة المدفن الأمامية
المقياس
١
٢٥

٥ ـ **الصحن المركزي** : يتألف الصحن المركزي من ثلاثة أفنية : فناء رئيسي في الوسط ، ينتهي من الشرق في الحنية ، ويفصلها ـ صفـــان من الأعمدة الممتدة نحو الحنية ، بكل صف خمسة أعمدة ، وقد تساقطت قديماً .

وان عملية الكشف التي ذكرت آنفاً بعام / ١٩٣٥ / كشف هذا الصحن بكامله ، وجميع الأحجار التي كانت تعلوه قد صفت على المحيط . أما قواعد الأعمدة حاملة السقف فلا تزال بموضعها ، وهي تبتدىء بشكل مربع بالأسفل وتنتهي باستدارة في أعلاها لارتكاز العمود عليها . وعلى بعض منها صلبان محاطة بدوائر .

ان كل فناء من هذه الأفنية مستطيل بشكله ، وباتحادها معاً تجعل هذا الصحن بـكامله مربعاً متساوي الأضلاع ابعاده (١٩,٥ × ١٩,٥) متراً . والفناء الوسطي منها بنهايته تكون الحنية المذكورة من الشرق .

والجدير بالذكر هو وجود قاعدة كبيرة تتوسط هذا الفناء الرئيسي ، أبعادها (٢,٨٨ × ١,٩٢) متراً وبارتفاع قدره / ٣٠ / سم . وهذه القاعدة كانت تحمل ستة أعمدة صغيرة لبقاء مراكزها فيها ، وضلع كل منها (٢٩ × ٢٩) سم ويمكن ملاحظة أجزاء من هذه الأعمدة على جانب منها .

لقد استعملت هذه القاعدة مع الأقسام المفقودة منها كأريكة يجلس عليها الواعظ وتسمى البيما ـ الفيما ويعرفها الأب ماتيرن بأنها مكان هيكل ـ مذبـــح ـ ولكننا على نقيض من هذا الرأي متفقين بالرأي مع السيد صبحي الصواف بأن هذا القسم كان عبارة عن منبر يقف عليه المرتلون أثناء الحفلات الدينية الكبرى . وقد اكتشف حجر مماثل لها في الكنيسة الكبرى في الرصافة على شكل صليب معد لأن يكون (أنبون) أي مكان المرتلين .

(وترى هذه البيما في المخطط رقم / ١ / وفي الصورة الفوتوغرافية رقم / ٦ /) .

أما أرض الصحن المركزي فكانت مرصوفة بالفسيفساء ولكنها انتزعت ولم يبق منها إلا

الأطراف حيث صفت الأحجار المتساقطة أصلا فوقها ، ومن هذه الأجزاء يمكن القول بأنها كانت على جانب كبير من الأهمية .

والحنية : إن الجانب الشرقي بحنيته هذه محافظ على وضعه السليم نوعـاً ما أكثر من بقية الأقسام ، والحنية الكبيرة بوسطه يبلغ قطرها /٧و٥/ متر تقريباً ونصف قطرهـا للداخل /٥٧٠/ سم . بينما يبلغ ارتفاعها من الداخل /١٠و٣٥/ متراً . وتتألف من حطتين يفصل بينهما إفريز عريض بعرض كلين (مدماك) ينتهي بطرفيه بإفريزين مماثلين بنفس الدعـامتين الرئيسيتين الشـاهقتين حتى انتهاء البناء في الطابق الثاني أصلاً ، وفيهما تبدو قواعد حاملات السقف على إثنتين منها صليبان مختلفان .

وفي الحطة الأولى ثلاث نوافذ متساوية في الحجم ذات أقواس منحنية بأعلاها وثقوب في الجوانب موضع ارتكاز الشبك الحديدية ، (كما يرى في الصورة الفوتوغرافية رقم ٨) .

أما سقف الحنية فيظهر كأنه على شكل نصف كرة مفرطحة قليلاً ويرى في الصورة رقم ٨ . ولا أثر هناك لتلبيس أو زخارف باقية في هذا القسم [١] .

وفي ظاهر الحنية لا يبدو سوى الافريز العلوي ، كما يتضح في الصورة المرفقة رقم ١٠ حيث تظهر فيها أغصان الشجر الثابت في سطح القبة .

وثمة بابان كبيران على طرفي الحنية يؤديان لخارج الصحن المركزي ، كما تلاحظ بمرتفع جانبي كل منهما بروز كبيرة من بروز أخرى كانت حوامل أخشاب سقف الطابق الأول .

وان المخطط المرفق رقم (٥) يوضح ذلك كما يرى في الصورة رقم (٧) .

وهناك بحذاء الحنية من الجنوب غرفة الدياكونيكون تقابلها في الشمال غرفة البروتيزيس ، وانها في غير محلها المعتاد كما نعهده في الكنائس الأخرى اذ تكونا ملصقتين بالحنية وهنا بخلاف ذلك قامتا على جانبي مؤخرة الرواقين في الزاوية الجنوبية الشرقية ، والشمالية الشرقية من البناء ، لا يدخل اليهما من باب في الرواق نفسه ، تلك ميزة ثالثة في الكنيسة .

---

(١) تذكرنا هذه الحنية بحنية كنيسة قلب لوزة .

هاتان الغرفتان ابعادهما متساوية تقريبـا (٤,٥) مترا . رصفت أرضهما بالفسيفساء الجميلة ولا تزال احداهما الجنوبية تحتفظ باقسام كبيرة منهـا وقد تغطت بالأحجار بينها الأخرى افتقدت منها فسيفساؤها . ولا يبعد أن يكونا بسقفيهما الخشبي في السابق على شكل هرمي .

ز – الواجهتان الجنوبية والشمالية في الكنيسة :

١ – الواجهة الجنوبية تمتد على طول الجانب الجنوبي حتى تتصل بصف الغرف المنتهية في في الغرب بانتهاء الباحة الخارجية ، وفيها تتضح المداخل والنوافذ وغيرها ، ففي الشرق باب غرفة الدياكونيون (تحضير الصلاة) وفي الوسط منها مدخل خارجي كبير يؤدي إلى مصطبة خارجية ترتفع عما يحيط بالبناء من مساحة بارتفاع متر وربع المتر وتقوم بجانبي هذا المدخل أربع نوافذ سقوفها منحنية كما هو الحال في القناطر المحدثة فوق سواكف الأبواب تخفيفـاً عليها من الضغط .

وهناك البروز المثبتة عالياً بين أقواس النوافذ التي تحمل مع البروز المقابلة حنايا صفي الأعمدة من أعلاها أخشاب سقف الطابق الأول .

وان جميع تلك الأحجار المنهارة لا تزال موجودة بمحيط الصحن المركزي كما يرى في الصورة الفوتوغرافية رقم ١٢ وما بعدها . هذه الأحجار المصفوفة قد حمت خلفها أقساماً من الطلاء والنقش الباقيين .

وتتصل هذه الواجهة بالذات بواجهة مدخل غرفة المعمودية فيرى الجرن المصلب بوسطها وما أتينا على ذكره في مخططنا المرفق رقم (٦) .

٢ – الواجهة الشمالية : وهي لا تختلف عن الواجهة المقابلة بشيء يذكر . انها تبدأ أولاً من الشرق بباب غرفة البروتيزيس (غرفة الهدايا) ، ثم بالوسط باب خارجي كبير ينفذ لباحة تحتوي على صهريج للماء وحوض ماء كبير انشىء بجانبه وقد أشرنا اليها في مخططنا رقم (١) .

وتنتهي من الغرب بمدخل كبير للباحة الخارجية بعد بناء غرفة قد تهدمت جدرانهـا ، ويلاحظ أمامها بقايا قسم جرن كبير حجري كان يستعمل في أغراض اخرى .

وان تعدد النوافذ في الواجهتين مع البروز في أحجار الأقواس الوسطية تدل بوضوح على اعطاء النور الكافي للبناء بكثرة زائدة (ومخططنا المرفق رقم ٦ يوضح وصف الواجهة كما في الصورة الفوتوغرافية رقم (١٠) التي تظهر فيها صفوف الأحجار المتساقطة أمام الواجهة .

ومما تجدر الاشارة اليه هو ان جميع التيجان التي استعملت في البناء وهي لا تزال مطروحة في ارض الصحن المركزي وفي الخارج منه كانت من النوع الكورانثي كما هو مبين في الصورة المرفقة رقم (١١) .

ح — خزانات الماء : ان أبرز ما بين خزانات الماء هو الخزان الكبير القائم في الجانب الجنوبي الشرقي من الكنيسة على شبه منحرف ، وتصله بالدير طريق قديمة مفتوحة ، تنتهي هذه الطريق في الجنوب الشرقي أيضاً بعد مسافة قريبة جداً بالخزان الثاني وقد أشرنا اليهما في مخططنا العام رقم (١) .

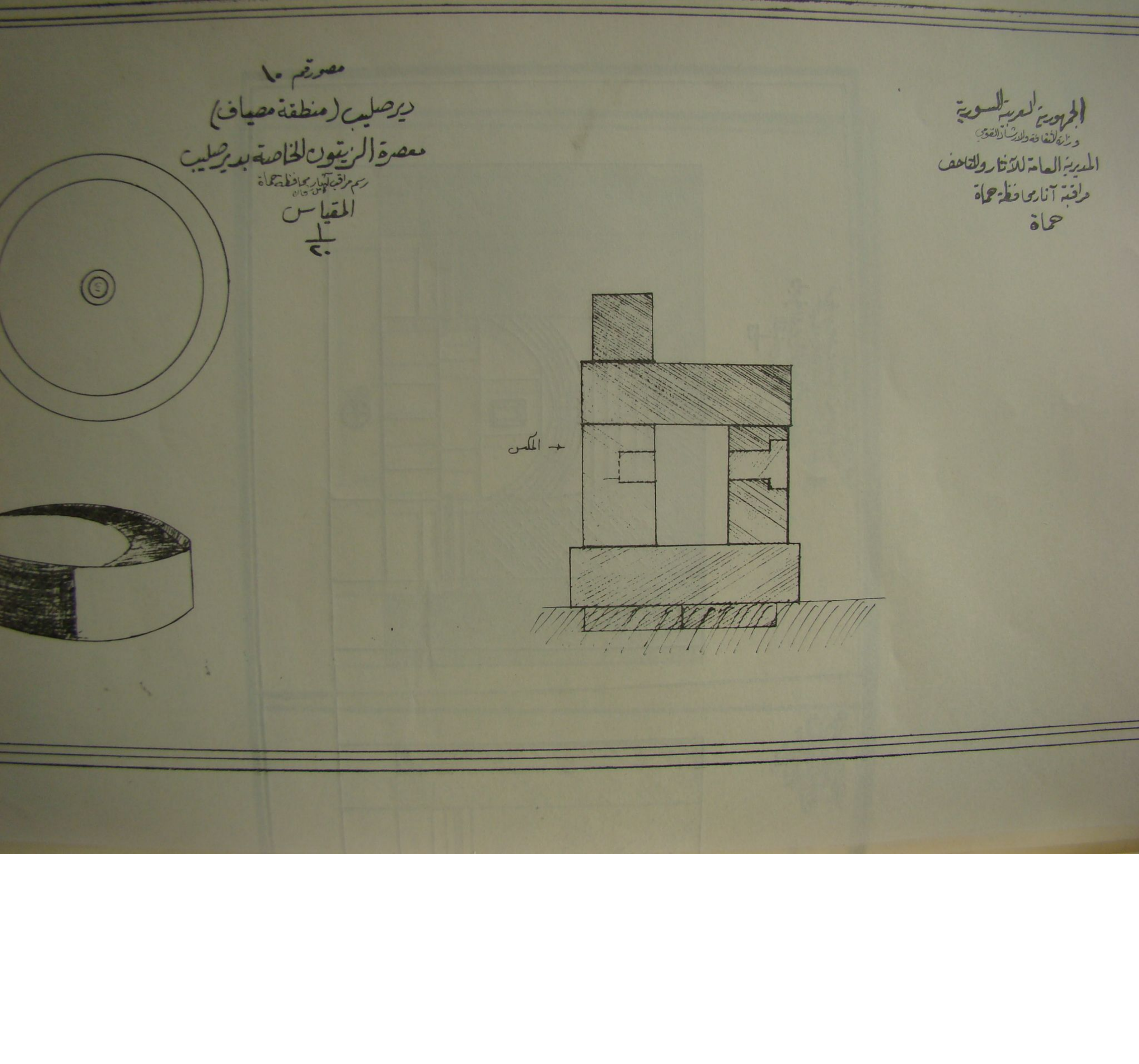
بني الخزان الأول من الحجارة المزوجة بالملاطة القوي بعد رصف أرضه بالحجارة والكلس وتعلو جدرانه من الجنوب على ارتفاع مترين تسندها دعائم برزت من أصل الجدران بشكل منتظم وقد أحدثت بوسط الجدار ثغرة لتصريف الماء عند الحاجة .

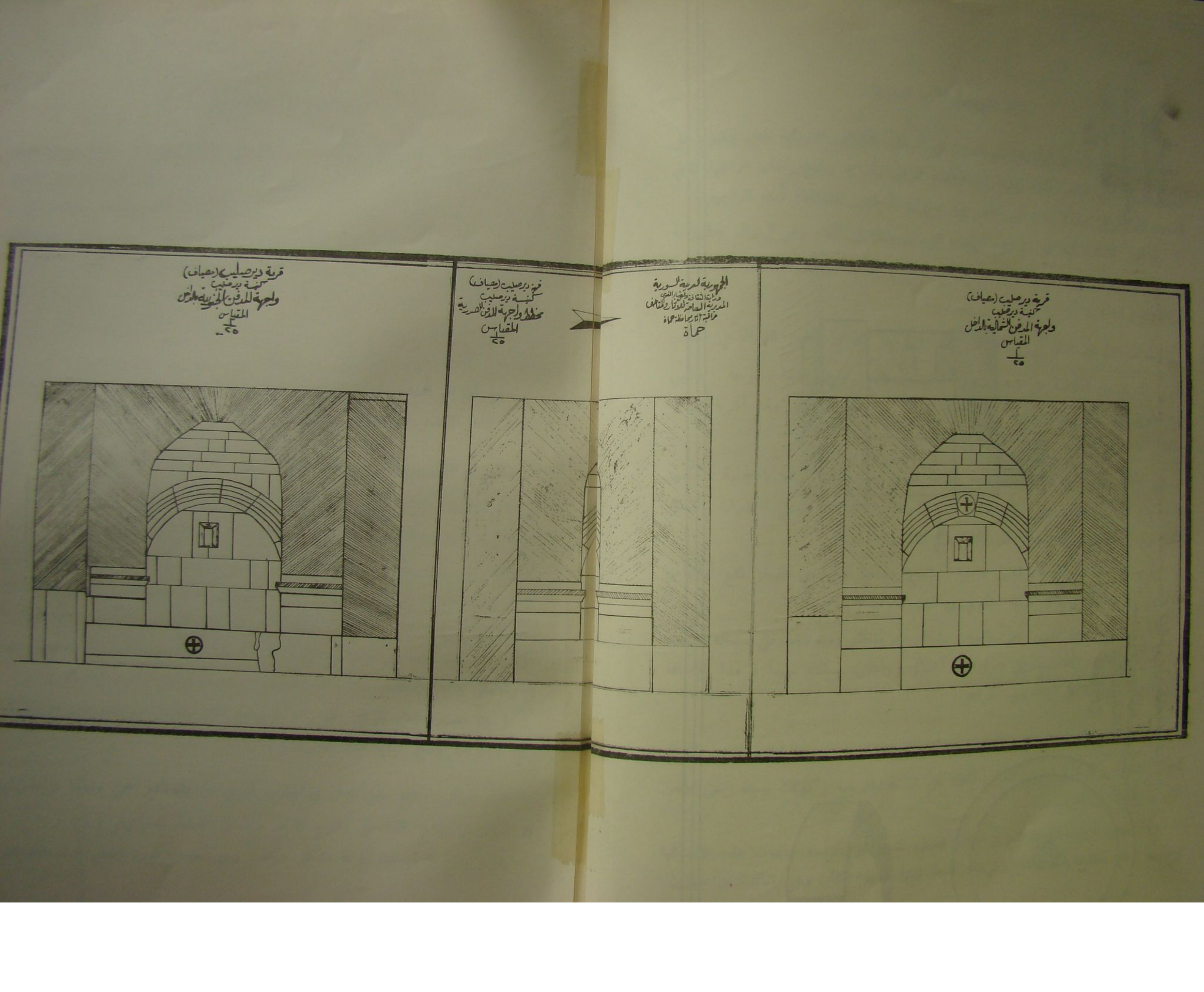
أما مسقى هذا الخزان فقد اعتني به جيداً بتسوية مساحة كبيرة في الصخر تقع أمامه من الشمال ويُرَى من هذا الخزان جانبه الجنوبي في الصورة رقم (١٦) .

والخزان الثاني للدير أنشيء حفراً بالصخر بشكل غير منتظم وقد ساعد على احداثه وجود هوة كبيرة في الصخر أتت بطريق مجرى ماء أخدُود واعتنى بصيانته جيداً . هذا بالإضافة لآبار عديدة موجودة في البناء وفي أطرافه .

ط — المعاصر : أشرنا لتنوع المعاصر في الدير بحيث توجد معصرة زبيب للدبس لاتزال لاتزال قصعتها مركزة في إحدى الغرف المطلة على الباحة الخارجية وكذلك توجد رحى لطحن الحبوب بجانبها من الغرب .

وثمة معصرة زيتون للزيت تقع في الجانب الشمالي الشرقي من الكنيسة حافظت هذه على شكلها نوعاً ما وهي تعطينا فكرة عن الطريقة المتبعة قديماً في هذا الشأن وهي تتألف من جهازين :


الجمهورية العربية السورية
وزارة الثقافة والارشاد القومي
المديرية العامة للآثار والمتاحف
مراقبة آثار محافظة حماة
حماة
مصور رقم ١٠
دير صليب (منطقة مصياف)
معصرة الزيتون الخاصة بدير صليب
رسم مراقب آثار بمحافظة حماة
المقياس
١
٢٠
المكبس



قرية دير صليب (مصياف)
كنيسة دير صليب
واجهة المدفن الشمالية بالداخل
المقياس
1/25
الجمهورية العربية السورية
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المديرية العامة للآثار والمتاحف
مراقبة آثار محافظة حماة
حماة
قرية دير صليب (مصياف)
كنيسة دير صليب
مقطع واجهة المدفن الصدرية
المقياس
1/25
قرية دير صليب (مصياف)
كنيسة دير صليب
واجهة المدفن الجنوبية بالداخل
المقياس
1/25

الأول (القصعة) عبارة عن حجر كبير مستدير الشكل يرتفع عن سطح الأرض بمقدار نصف متر تقريباً . وقطره يزيد عن المترين ويحف به من الأعلى إطار نفر من الحجر الأصلي ليحول دون تناثر حب الزيتون أثناء وضعه . أمـا في الوسط فتوجد فتحة مستديرة ليركز فيها عمود خشبي يكون بمثابة محور لخشبة اسطوانية تدخل من مركز حجر مستدير على شكل عجلة ، وفي طرف الخشبة توجد حلقة في المحور الخشبي المثبت في الحجر الكبير (القصعة) أما طرفها السائب فيربط إلى مؤخرة دابة تدور حول القصعة ، وبسير هذه تتم حركة العجلة التي ينجم عنها عصر الزيتون المبسوط تحتها ، وفي حالات استثنائية يمكن أن يحل عدد من الأشخاص الأقوياء مقام الدابة في تسيير العجلة .

وبعد أن تتم العملية هذه يوضع الزيتون المدروس ضمن ترب اسطوانية الشكل منسوجة من خيوط الشعر لتنضد فوق بعضها في المكبس الموجود إلى جانب القصعة .

الثاني (المكبس) باطوس لدى العوام وهو يتألف من عضـادتين غليظتين من الحجر مربوطتين بقاعدة سفلية وعارضة علوية توضع فوقها مجموعة من الأحجار الثقيلة بغية عدم تزلزل العضادتين . أما عملية الكبس فتتم على النحو التالي : تصف التّرب فوق بعضها بين العضادتين ثم يؤتى بخشبة قوية يركز أحد طرفيها بفتحة جانبية أعدت في العضادة اليسرى لهذا الغرض ثم يجري الضغط على التّرَب بواسطة الجانب الثاني من الخشبة حتى تصبح الخشبة بمحاذاة الفتحة الجانبية المعدة في العضادة اليمنى وهي ضيقة في الداخل ومتسعة في الخارج تربيعاً . وبالانتظار قليلاً بعد ركز الخشبة في فتحة العضادة اليمنى يسيل الزيت تدريجياً من الأسفل إلى حوض يقام بأسفل قاعدة المكبس .

(إن مصورنا العام المرفق رقم (١) يوضح مكان وقوعه مع الصورتين الفوتوغرافيتين رقم ١٣ و ١٤ توضح كيفية هذه المعصرة) .

قسم الدفن : لقد جعل الدفن في الجنوب الغربي من بناء الدير ضمن مساحة مربعة وكبيرة قد أحاط بها حاجز الدير من الخارج كما هو مبين في المخطط العام رقم (١) .
يقوم بقسم الدفن بناء غرفة بشكل مكعب ومن أحجار كبيرة الحجم ضمت هذه الغرفة

بداخلها ثلاثة قبور كبيرة تركت من الصّخر تأتي فوق كل قبر منها نافذة صغيرة متسعة من الداخل وضيقة من الخارج .

أما السقف فقد أقيم على دعـائم مربعة ترتقي قليلاً فوق القبور ثم تبدأ بتشكيلة قنطرة لتلتقي معاً بأعلاها فتشكل عقداً مصلباً بالوسط حجرة مربعة صغيرة . وقد تنوعت في هذا البناء أشكال الصلبان وخاصة في الواجهتين الأمامية والشمالية وعلى القبور في أواسط الأقواس حاملة السقف (١) .

وان البناء لجميل وبحالة جيدة لم يطرأ عليه تخريب إلا حجر مافوق مدخله المنحنية ذات الأفاريز والكورنيشات فقد سقطت من ثقلها وكذلك بعض حجرات الكلين العلوي وشقوق أخرى في الواجهة شكلتها الشجيرات النابتة .

إن الجانب الغربي من القبر قد تهدم بأعلاه كما أن القسم الملاصق لهذه الغرفة من الغرب متهدم إلا من مدخله فقط ، وثمة باحة لهذا القسم في شمالي المدفن تحتوي على خزان للماء يشبه البئر وأشياء أخرى خاصة بالمدفن . وتبين في الصورة رقم (١٢) واجهة المدفن .

ك ـ المساكن : كان لابد من وجود المساكن في دير صليب وأكثر مايكون وجودها في محيط الباحة الخارجية الا ان كثرة التخريبات حالت دون ايضاحها كاملة وتثبيتها على المخطط .

ل ـ الفسيفساء : لقد كانت الفسيفساء تزين جميع أقسام البناء الا قليلاً منها وانني على الرغم من محاولتنا الحصول على الموافقه اللازمة لكشف ما تبقى منه بعد تحديد وجوده في غرفة الدياكونيكون لكثرة مايوجد فوقها من أحجار متساقطة ، الا انها لما تتم بعد علماً بأن كشفها يحتاج ليد عاملة وفترة من الوقت ولهذا أراني مضطراً للاعتماد على المخطط الذي وضعته وارسل إلى المديرية العامة للآثار مستعان به من نسخة أصلية للأب ماتيرن .

(١) كان يدفن فيه عظماء أساقفة الكنيسة ويماثل هذا المدفن في قامة سمعان حيث توجد في زاوية القلعة غرفة منحوتة في الصخر في جوانبها الداخلية نواويس أيضاً لدفن الرهبان . ان بناء هذا المدفن بأصله وتصوره ليس هو من طبيعة المنطقة لكنه اتبع تقاليد العامة في الشرق وكذلك فانه ليس من طبيعة الهندسة المحليـة لما يحلو فيه من ابداع واتقان .

إن الفسيفساء التي رُصفت بها أرض غرفة الدياكونيكون تمثل لوحة مربعة ذات إطار زخرفي يصور أنواعاً عديدة ومختلفة من الطيور والحيوانات الصغيرة بين أغصان الكرمة المثمرة والسلال الموضوعة إلى جانبها على نماذج مختلفة .

أما اللوحة المربعة داخل الإطار فقد قسمت إلى تسعة مربعات متساوية صورت بداخلها أربع فتيات مثلت كل منها فصلاً من فصول السنة .

ففي أواسط القسم العلوي توجد فتاة ترتدي معطفاً وتحمل على كتفها الأيسر جرة يتدفق الماء من فوهتها بغزارة ، وفي هذا ما يشير إلى فصل الشتاء ، وعلى جانبيها ضمن مربعين فرسان يتجهان نحوها .

وفي نظير المربع العلوي فتاة ترتدي ثوباً مفتوح الصدر قليلاً وله زرٌ مكان التقاء طرفيه في الأعلى ، وهذا ما يمثل فصل الربيع .

وعلى جانبها الأيمن ثورٌ وحشي في حالة الوثوب ذو حدبة كبيرة في كتفه ، ومن تحته غصن نباتي . أما في جانبها الأيسر فيوجد أسد متوثب تحته طائر ذو منقار طويل وأرجل كذلك يشبه اللقلق (أبو سعد) .

وفي المربع الذي يعلو صورة الأسد فتاة معصبة الرأس تمسك بيمناها منجلاً لحصاد القمح وبيسراها حزمة من السنابل ، وهذا ما يشير إلى فصل الصيف . وعلى يمينها مربعان أولاهما لا شيء فيه يذكر ، وثانيهما صورت فيه فتاة عليها رداء ينتهي أحد طرفيه بزر على كتفها الأيمن وقد رفعت يمناها على صدرها وفي هذا ما يشير إلى فصل الخريف .

هذا وان جميع الأطُر الداخلية إلى جانب الإطار الخارجي جاءت متكاملة تعبر أصدق تعبير عن نفسية الفنان وسلامة ذوقه الذي قام بأحسن الأداء وأجاد بمنتهى البراعة وحسن الصنعة ، فلم يدع منها جانباً يسيطر عليه الجمود وإنما كانت بجميع أجزائها مملوءة بالحركة والحيوية والنشاط .

ومما يؤسف له هو فقدان اللوحة من أي نص تاريخي ومع ذلك فمن المحتمل أن يكون التاريخ ضمن المربع الوسطي في اللوحة وقد أصبح مخربا . ولا يبعد إذا قارناها بفسيفساء قرية فركيا المكتشفة — في العام الماضي انها تعاصرها ، وانهما تعودان للقرن الخامس .

٤ — **الكنيسة الشرقية** : وقبل اختتام الموضوع لا بد لي من التعرض قليلاً للكنيسة الشرقية من قرية دير صليب ، وتقع عنها للشرق بمسافة ٣./ كم . ضمن منطقة صخرية وكرم زيتون عائد لأحد السكان .

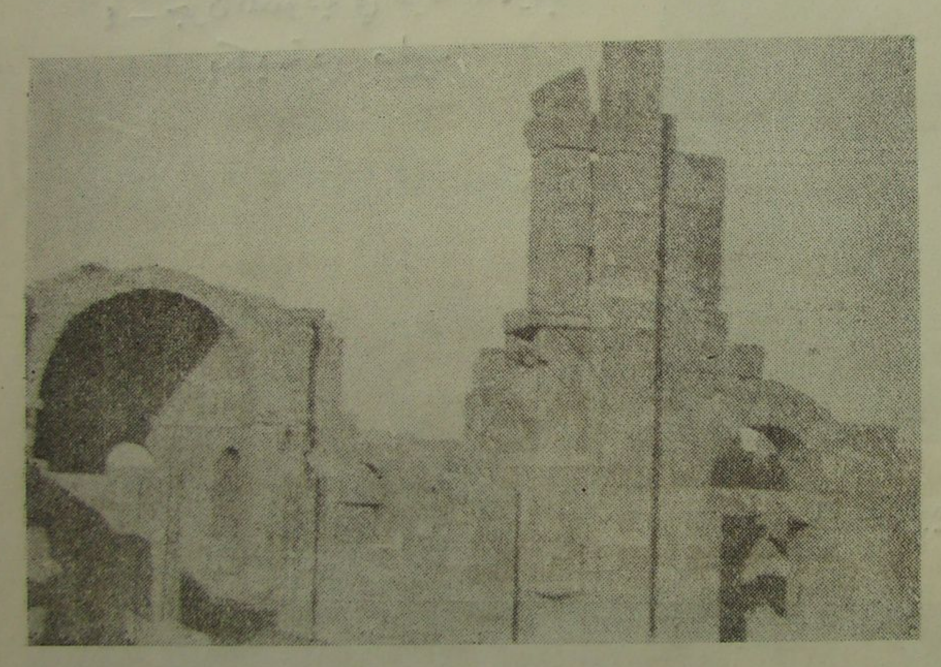
إن هذه الكنيسة هي أثقل من كنيسة دير صليب ، ذات واجهة من الغرب تحتوي على مداخلها الثلاثة تعلو سواكفها قناطر لتخفيف الضغط . والساكف الوسطي أبعاده / ٣٠٠ × ٨٠/ سم . وهو يتضمن سطرا ـ كتابياً باليونانية تتوسطها دائرة تحيط بصليب . وقد عرفت هذه الكتابة عن تاريخ البناء في سنة ٦٠٤م أو في سنة ٦٠٥م . والصحن مؤلف من ثلاثة أفنية مفصولة بصفين من الأعمدة بكل منها ثلاثة وينتهي الفنـــاء الوسطي بالحنية من الشرق ذات النوافذ الثلاثة وخزانتين جانبيتين وظاهر الحنية يتألف من خمسة أضلاع بارزة . وتحيط بالكنيسة معالم مدينة ميتة .

كامل شحادة

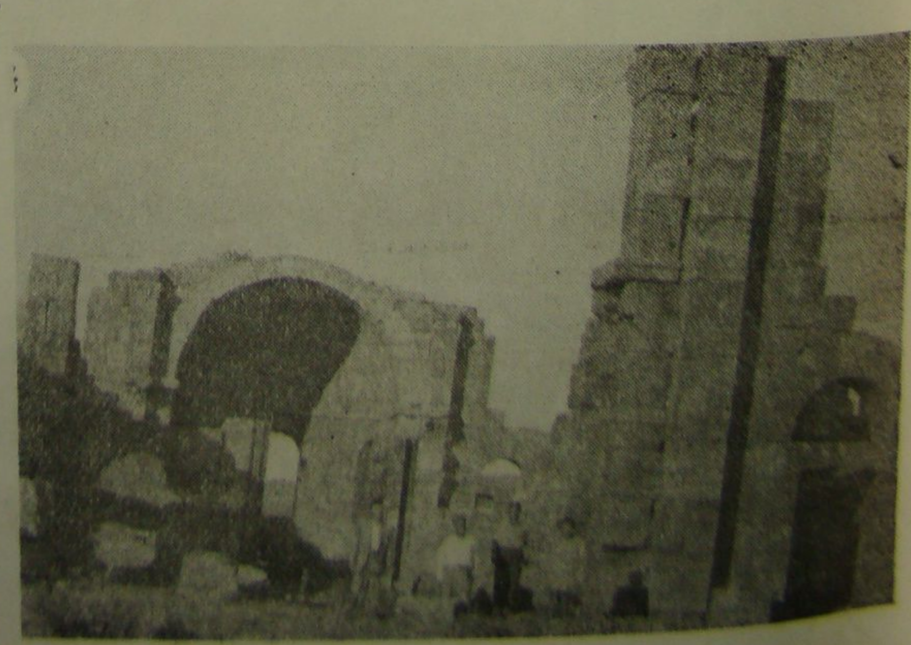
مراقب آثار محافظتي حمص وحماة



١ ـ منظر عام لدير صليب



٢ ـ الواجهة الرئيسية الأمامية للكنيسة
في الدعامة الجنوبية







٤ ـ جرن المعمودية في غرفة المعمودية
بكنيسة دير صليب

٦ ـ البيما وسط صحن الكنيسة المركزي



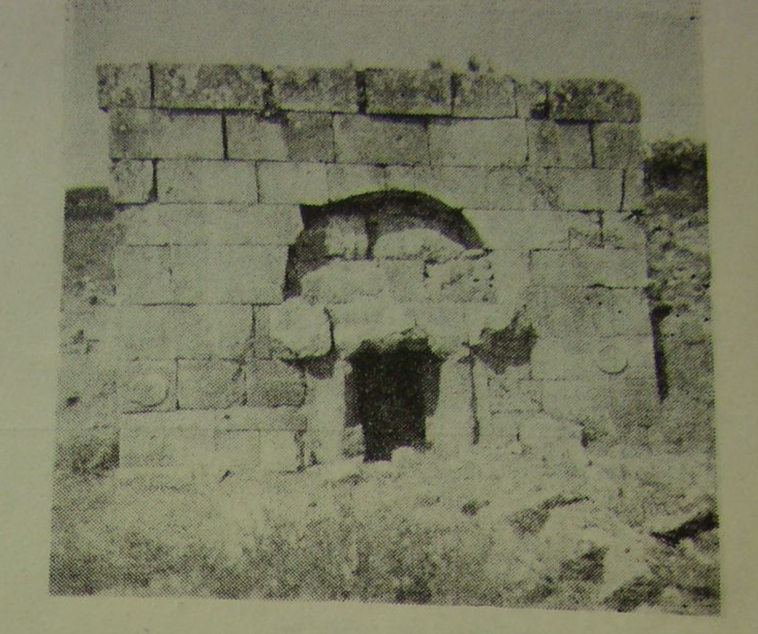
٥ ـ جرن المعمودية المصلب في كنيسة دير صليب



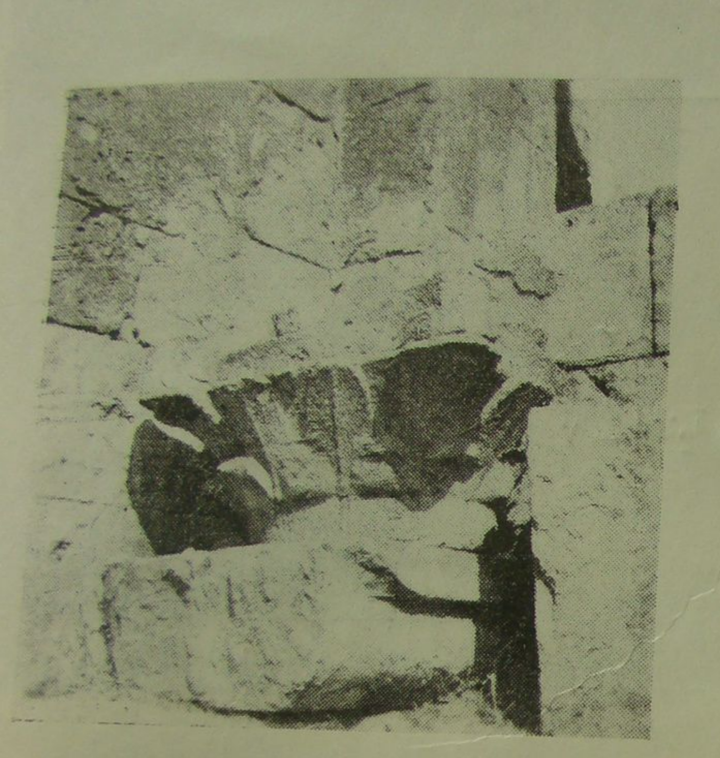
٨ـ سقف حنية الكنيسة في دير صليب

٧ ـ الحنية في كنيسة دير صليب وبطرفها البابان لخارج الكنيسة

١٢ ـ الواجهة الجنوبية لكنيسة دير صليب مع قسم من حنية الهيكل وبينهما الباب المؤدي للخارج



١٢ ـ واجهة المدفن في كنيسة دير الصليب



١١ ـ احد انواع التيجان المستعملة في بناء كنيسة دير الصليب



١٣ ـ مكبس المعصرة في كنيسة دير صليب